

## السبية في الشعر الجاهلي

### Captive Women in the Pre –Islamic Poems (AL-Sabiyyah)

حمدي منصور

Hamdi Mansor

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية

بريد الكتروني: hamdimansor@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٣/٣/٢٠٠٩)، تاريخ القبول: (٢٧/١/٢٠١٠)

#### ملخص

تتكشف الحروب والوقائع والأيام عن سبايا وأسرى، كما تتكشف عن قتلى وجرحى، وقد جاء هذا البحث لينهد بدراسة السبية في الشعر الجاهلي، وقد قام على أربعة عناوين رئيسة هي: الخوف على النساء من السبي، والفخر بحيازة السبي، وهجو من لا يحمي نساءه، وأخيراً أحوال النساء ومعاملتهم. وقد تبين أن العربي في العصر الجاهلي، كان يحرص على نساءه ألا يقعن في السبي لما يمثل ذلك من هوان وخزي، ولذا فهو يبذل وسعه في حمايتهن والدّب عنهن، في الوقت الذي يهجو من لا يحمي نساءه أو يدفع عنهن. كما أن السابي كان يفخر بقدرته على قهر عدوه وسبي نساءه، وتباين الموقف من معاملة السبايا : فمنهم من كان يكرمهن ويحسن معاملتهن، بل هناك من خلطهن بنساءه واستولدهن، ومنهم من أساء إليهن حدّ بقر البطون إمعاناً في إذلال عدوه وقهره. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته.

#### Abstract

Wars usually cause killed caualtis and captives .this research aims at throwing some light on the captive woman in the Pre-Islamic period. it consists of four headings : 1) fearing for woman of capture. 2) Boasting of taking captives. 3) Disparaging one who could not protect his women. 4) Condition and treatment of the captive women. It is to be noticed that the arab in Pre –Islamic period was desirous of keeping his women away of capture .on the other hand, the captor used to boast of taking captives and subjecting his enemy .some of captures used to treat kindly his captives while others used to bring sever measures to bear upon them.

Some of the captors got married with the captive women the researcher adopted the descriptive analytical approach in his work.

### تمهيد

إن طبيعة بيئة الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، فرضت على العرب ضروبا مختلفة من الصراع، وأشكالا متباينة من النزاع، كانوا يخضونها مكرهين في سبيل الحفاظ على حياتهم، بحثا عن أقواتهم وطلبا لأرزاقهم، ووسائل عيشهم، فكثرت الحروب والأيام والوقائع بينهم، وكاد أن يعم هذا جزيرتهم، فساد العداء مجتمعهم، واستقرت الكراهية في صدورهم، والشحناء في قلوبهم، وقد صور القرآن الكريم حال العداء هذه في قوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله آياته لعلكم تهتدون"<sup>(١)</sup>

وهم في حال العداء هذه قد قسموا دهرهم بينهم شطرين، وجعلوا زمانهم يومين، يوما يشنون فيه الغارة على عدوهم غازين، فينبهون ويسلبون ويقتلون، ويأسرون ويسبون ويوما آخر يغير عليهم عدوهم طلبا للثأر و الانتقام، كما قال دريد بن الصمة الجشمي<sup>(٢)</sup>: من الطويل

يُعَارُ عَلَيْنَا وَاتْرَيْنَ فَيَسْتَفِي      بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُغَيِّرُ عَلَى وَتُرِ  
بِذَلِكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ ۖ قَيْسَمَةً      فَمَا يُنْقَضِي إِلَّا وَ نَحْنُ عَلَى شَطْرِ

وأمر بدهي أن تنكشف الحروب و الوقائع عن سبايا و أسرى، كما كانت تنكشف عن قتلى و جرحى، ولعلمهم كانوا أحرص على الأسر والسبي من حرصهم على الأموال والغنائم لما فيها من إذلال للعدو وقهر للخصم<sup>(٣)</sup> ففي يوم الشقيق ليكر على تميم وفيه أغار أبحر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة، فسبى سلمي بنت محسن<sup>(٤)</sup>، وفي إراب غزا الهذيل التغلبي بني يربوع فقتل فيهم قتلا ذريعا، فأصاب نعما كثيرة، وسبى سببيا كثيرا، منهم زينب بنت حمير بن الحارث بن همام بن رياح بن يربوع، وهي يومئذ عقيلة نساء بني تميم، وسبى طابية بنت جزء بن سعد الرياحي<sup>(٥)</sup>، وفي يوم ذات الشقوق الذي كان ردا على يوم الجفار وكان ضمرة النهشلي قد حرم على نفسه الخمر "حتى يكون له يوم يكافئه" انتصر فيه فقال<sup>(٦)</sup>: من الكامل.

(١) آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) دريد بن الصمة الجشمي. الديوان، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، دار قتيبة ص ٦٥.

(٣) أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص ٤٦٤.

(٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٣٢٨ هـ، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ج ٦: ص ٥٩.

(٥) العقد الفريد، ج ٦: ص ٨٠.

(٦) العقد الفريد، ج ٦: ص ٨٩ ساغ: لذ وطاب، التجار باعة الخمر، الموسم: المجمع والسوق، عواطل: جمع عطل، المرأة لازينة عليها.

الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ ولم أَكُنْ      آتِي التَّوَّابِينَ جَارًا ولا أَشُدُّ  
تَكَلِّمِي

حتى صَبَحْتُ على الشَّقُوقِ بِغَارَةٍ      كالتَّمْرِ يُنْتَرُ في حَرِيرِ الحُرْمِ  
وأبَأْتُ يوماً بالجِفَارِ بمِثْلِهِ      وأجرتُ نَصْفاً من حديثِ المَوْسِمِ  
ومشَتْ نساءٌ كالظُّبَاءِ عَوَاطِلاً      من بَيْنِ عارِفَةِ السَّبَاءِ و أَيْمِ  
ذهبَ الرِّمَاحُ بُزُوجِهَا فترَكْنَهُ      في صَدْرِ مُعْتَدِلِ القَنَاةِ مُقَوِّمِ

فهم يحرصون في غزواتهم على سبي النساء لما في ذلك من إذلال للرجال و إرغام لأنوفهم  
رمز العزة و المنعة، والكبرياء و الأنفة.

### السبي لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور، سبى العدو و غيره سبياً وسبأه إذا أسره، فهو سبيٌّ،  
وكذلك الأنثى بغيرها من نسوة سبايا، وقال الجوهري: السبيَّة، المرأة تسمى، والسبي: المَسْبِيُّ،  
والجمع سُبَيٌّ، قال: من الخفيف

و أفأنا السُّبَيِّ من كل حَسْبِي      و أقمنا كراكرا و كروشاً  
وتسأبى القوم: إذا سبى بعضهم بعضاً، وقد سببتهم سبياً وسبأه<sup>(١)</sup>

وفي أساس البلاغة، سببت النساء: سبياً وسبأه: وقع عليهن السبأ، وهذه سبية فلان:  
للجارية المسبية<sup>(٢)</sup>. أما في الاشتقاق، فقد ذكر أنه غير مهموز، قال: السبي من سبى العدو غير  
مهموز<sup>(٣)</sup>، وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة في أدب الكاتب<sup>(٤)</sup>

### الخوف على النساء من السبي

لقد حرص العربي في العصر الجاهلي على نساءه من الوقوع في السبي، وافتخر بقدرته  
على صونهن وحمايتهن، في الحروب والوقائع، والذود عنهن في الإغارة والغزو، وأنه يبذل في  
سبيل ذلك كل غال ونفيس، حتى لا يصل إليهن العدو، ولا ينال منهن الخصم، فهذا الأجدع  
الهمداني يفخر بشجاعته وقوته التي تحول دون نيل العدو من نساء قبيلته، فهو حامي حماهن،

(١) انظر، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت مادة (سبي).

(٢) انظر، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ١٩٧٩م مادة (سبي).

(٣) انظر، ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٣٦٢.

(٤) انظر، عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة، أدب الكاتب، حققه وضبط غريبة محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة  
السعادة مصر الطبعة الرابعة ١٩٦٣م ص ٢٨٢.

وهو الذاب عنهن، الدائد عن حرمتهن، لا يقصر في ذلك ولا يلو على شيء، مهما كان نفيساً أو عزيزاً، يقول<sup>(١)</sup>: من الطويل.

لَقَدْ عَلِمْتُ نَسْوَئُ هَمْدَانُ أَنْنِي لَهْنَ عَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَنْدُولِ  
وَأَبْدَلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنِّي لَهُ فِي سَوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَنْدُولِ  
فَالْأَجْدَعُ لَا يَخْذَلُ فِي الْحَرْبِ نَسَاءَ قَوْمِهِ، وَلَا يَجْبِنُ عَنِ لِقَاءِ خَصْمِهِ، وَكُلَّهُ أَنْفَةٌ وَكِبْرِيَاءُ.

ويفخر الأفوه الأودي بقوته وبسالته، وبشجاعة فرسان قومه ويطولتهم، فهم قادرون على قتال عدوهم وسبي نساته، وإلحاق الأذى به والنيل منه، في الوقت الذي لا يستطيع العدو أن يفزع نسوتهم، أو أن يدخل الروع إلى قلوبهن، فقد عهدن في رجالتهن العزة والأنفة، والغيرة والحمية، فهم يصمدون في الدفاع عنهن، لا يفرون من المعركة، ولا يهربون من ساحة النزال، فلا يرى العدو لنساتهم أسواقاً، ولا يطلع منهن على عورة، يقول الأفوه<sup>(٢)</sup>: من الطويل

نُقَاتِلُ أَقْوَاماً فَتَنْسَبِي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرَ نُوْ عَزْلَنْسَوْتِنَا حِجْباً  
نُقُودُ وَنَأْبَى أَنْ نُقَادَ وَلَا نَرَى لِقَوْمِ عَلَيْنَا فِي مَكَارِمِهِمْ فَضْلاً  
وَإِنَّا بِطَاءِ الْمَشْيِ عِنْدَ نِسَائِنَا كَمَا قَيَّدَتْ بِالصَّيْفِ نَجْدِيَّةٌ بَزْلاً

أما عمرو بن كلثوم التغلبي، فقد ذكر في معلقته كثيراً من مفاخر قومه، وعدد كثيراً من مآثرهم، وفاخر بهم الملك عمرو بن هند، وكان مما عدد من مفاخر قومه وفضائلهم، حمايتهم نساءهم، وقدرتهم على الدفاع عنهن، فقد أخذت النسوة الحرائر المصونات على أزواجهن عهداً بحمايتهن في أحلك الظروف وأصعب المواقف، وذلك إذا حمي وطيس المعركة واشتد أوارها، وعلت صرخات الفرسان، وقعقة السلاح، وصهلت الخيل واشتجرت الرماح، فهم الأقدر على حمايتهن، بل عليهم أن يتجاوزوا ذلك إلى إيقاع الهزيمة بالعدو، وسلبه ونهبه، فعليهم أن

يعودوا منتصرين قد حازوا الغنائم واحتوا الأسلاب، وقيدوا الأسرى واستاقوا السبايا، فإذا ما فعلوا ذلك فهم جديرون بهن، يقول<sup>(٣)</sup>: من الوافر

عَلَى آثَارِنَا بَيْضُ جِسَانٍ نُحَاذِرُ أَنْ نُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا  
أَخَذْنَا عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا إِذَا لَاقُوا كِتَائِبَ مُعَلِّمِينَا

(١) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ، شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة الحجازي القاهرة ١٩٣٨م ج ١: ص ١٠٣.

(٢) الطرائف الأدبية، صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيله، عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧م: ص ٢٢.

(٣) عمرو بن كلثوم، الديوان، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٦م ص ٦٨، البعل: الزوج، البيض: يقصد بها السيوف، القوت: الإطعام بقدر الحاجة.

أيسْتَلْبُنْ أفراساً وبيضاً وأسرى في الحديدِ مُقَرَّنينا  
 ثرانا بارزين وكلُّ حَيٍّ قد اتَّخَذُوا مخافتنا قَرِينا  
 إذا ما رُحْنَ يَمْشِيْنَ الهَوَيْنِي كما اضْطَرَبْتُ مُتَوْنُ الشَّارِبِينا  
 يَفْتَنُ جِيادنا وَيَقْلُنْ لَسْتُمْ بُعُولْتنا إذا لَمْ تَمْنَعُونا

فالنسوة التغلبيات يمشين الهويني، بطمأنينة وثقة، لأنهن يعلمن أن بعولتهن فرسان أقوياء، ومقاتلون أشداء، لا يخافون عدوا ولا يخشون قوما، فهم لقوتهم بارزون ظاهرون، تخافهم أحياء العرب، وترهبهم القبائل.

ويمضي عمرو بن كلثوم في فخره ببسالة قومه، وشجاعة رجاله، ولا فخر مثل منع النساء الحرائر من السبي، لأن في سبيهن إذلال الجباه وإرغام الأنوف، وليس بعد سبيهن من مذلة أعظم، ولا هوان أشد على النفوس الأبية:

وما مَنَعَ الطَّعائِنَ مِثْلُ ضَرْبِ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالْقَلْبِينا

إذا لَمْ نَحْمِهْنَ فَلَا بَقِينا بِخَيْرٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَيِينا

فأي طعم للحياة بعد سبي الحرائر، وأي كرامة بعد امتهان الحسان، لعمري إن أنفة ابن كلثوم عربية قل نظيرها.

وهذا يذكرنا بموقف هند بنت عتبة ودورها في غزوة أحد، فقد أخذت وصوحيباتها يشجعن فرسان قريش، ويجرضن الرجالة على قتال المسلمين، وهن ينشدن مذكرات القوم بعراقة أصولهن، وعلو مكانتهن، وعظيم شأنهن، وذلك لبث الحمية في النفوس، وشحن العزائم والهمم، ليكونوا أقدر على الثبات، وأقوى في القتال، لأنهم يدفعون فيما يدفعون عن حرمهم، ويذبون فيما يذبون عن حرائرهم، ليمنعوهن ذل السبي، وهوان القيد، تقول هند<sup>(١)</sup>: من مشطور الرجز

نحنُ بناتُ طارقٍ إن تُقْبِلُوا نُعَانِقِ  
 ونبسُ النَّمَارِقِ أو تُدْبِرُوا نُفَارِقِ  
 فِراقَ غَيْرِ وَامِقِ

ومرة ثانية يفخر عمرو بن كلثوم بقومه القادرين على صون نسائهم، ومنع بناتهم عند اشتداد القتال واحتدام النزاع، فهو من قبيلة تشمخ على القبائل لعزتها وأنفتها، فيها العدد والقوة،

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثاني الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ج ٢: ص ٦٣

بنت مجدها، ورفعت صرحها، لا يستطيع حيٌّ أن يدانيها، ولا قبيل أن يطاولها، يقول<sup>(١)</sup>: من الكامل

مِنْ عَصْبَةٍ شَمَّ الْأُتُو ف تَرَى عَدُوَّهُمْ مَصْرًا  
أَفْنَاءُ تَغْلَبُ وَالِدِي وَيَدِي إِذَا مَا الْبَأْسُ ضَرًّا  
وَالرَّافِعِينَ بِنَاءَهُمْ فَتَرَاهُ أَشْمَخَ مُشْمَخْرًا  
وَالْمَانِعِينَ بِنَاتِهِمْ عِنْدَ الْوَعَى حَدْبًا وَبِرًّا

وطرفة بن العبد يفخر بقومه يوم (تحلاق اللمم)، فهم أقوياء أشداء، يحمون النسوة، ويمنعون الحريم، عندما تضطرب خوفاً ووجلاً، يقول<sup>(٢)</sup>: من الرمل

سَائِلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقُوَانَا يَوْمَ تَحْلِقُ اللَّمَمُ  
يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنَ أَسْوَفِهَا وَتَلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ  
أَجْدُرُ النَّاسِ بِرَأْسِ صِلْدِمٍ حَازِمِ الْأَمْرِ شُجَاعٍ فِي الْوَعَمِ  
ويفخر قيس بن الخطيم بحماية نساء قومه يوم بعث، يقول<sup>(٣)</sup>: من الطويل  
وَإِنَّا مَنَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَنَعَتْ مِ الْمُخْزِيَاتِ نِسَاءَهَا

ويذكر طفيل الغنوي بلاء قومه بني جعفر في يوم جرس وبعاتهم، طالبا إليهم ألا يجحدوا بلاء حيه، يقول<sup>(٤)</sup>: من الطويل

بَنِي جَعْفَرٍ لَا تَكْفُرُوا حُسْنَ سَعِينَا وَأَثْنُوا بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ  
وَلَا تَكْفُرُوا فِي النَّائِبَاتِ بِلَاءَنَا إِذَا مَسَّكُمْ مِنْهَا الْعَدُوُّ بِكُلِّ كَلِّ  
فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ جَرَسٍ نِسَاءَكُمْ غَدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرَ مُؤْتَلِي  
دَعَا دَعْوَةَ يَالِ الْجُلِيحَاءِ بَعْدَمَا رَأَى عُرْضَ دَهْمٍ صَرَّعَ السَّرْبِ مُثْعَلٍ  
فَقَالَ ارْكَبُوا أَنْتُمْ حِمَاةً لِمِثْلِهَا فَطَرْنَا إِلَى مَقْصُورَةٍ لَمْ تُعْبَلِ

(١) عمرو بن كلثوم، الديوان، ٨٠، العصبية: الجماعة، شم الأنوف: أباة أعزة، الأشمخ: الأكثر ارتفاعاً، الوعى: الحرب، الحدب: ما ارتفع من الأرض، البر ما سهل وانبسط من الأرض.

(٢) طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري ت ٤٠٦هـ تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون دولة البحرين والمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ص ١١٦، الأعرج: جمع عرج وهو ما بين الخمسين والمائة من الإبل، الرأس: الرئيس، الصلدم: الشديد، الوغم: القتال في الحرب.

(٣) قيس بن الخطيم، الديوان، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ص ٥١.

(٤) طفيل الغنوي، الديوان، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ٩٠، السعي: الفعل، المحفل: مجمع الناس.



ويفخر عمرو بن حوط بقومه الذين يحمون نساءهم إذا اشتجرت الرماح، واستعرت نار الحرب، وعزّ من يحمي حريمه، ويذب عن المخدرات المصونات، يقول<sup>(١)</sup>: من الوافر

فما قَوْمٌ كَقَوْمِي حِينَ يَعلُو  
شِهَابُ الحَرَبِ تُسَعِرُهُ الرِّمَاحُ  
وما قَوْمٌ كَقَوْمِي حِينَ يَخْشَى  
على الخَوْدِ المُخَدَّرَةِ الفِضَاحُ

### الفخر بحياسة السبي

افتخر الشعراء بحياسة فرسانهم سبي عدوهم، و النصر عليه رك العامريون وترهم من طيء، فقتلوا سادتهم، و شنتوا فرسانهم، و عادوا بالسبايا من أحياء طيء كلها ذليلات كسيفات، كليات مقهورات، هذا إلى جانب الغنائم والأسلاب، يقول<sup>(٢)</sup> من الوافر

وقَتَلْنَا سَرَاتَهُمْ جَهَاراً  
وَجُنْنَا بالسَّبايا والنَّهَابِ  
سبايا طيءٍ أُبرِزْنَ قَسراً  
وأبدلن القُصورَ من الشَّعَابِ

سبايا طيءٍ من كلِّ حيٍّ  
وما كانت بنائهم سبيّاً  
ولا كانت دماؤهم وفاءً  
لنا فيمّا يُعدُّ من العِقَابِ  
نَمّا في الفِرْع منها والنَّصَابِ  
ولا رَعَباً يُعدُّ من الرِّعَابِ

وعيّر زهير بن جناب الكلبى تغلب لما غزاهم وهم على ماء لهم يقال له (الحُبَيّ) فأسر كلبيا ومهلها ابني ربيعة و استاق نساءهم سبايا، وقال<sup>(٣)</sup>: من الكامل

تَبّاً لتغلب إذ تُساقُ نِساؤُهُمْ  
سَوَقَ الإماءِ إلى المَواصِمِ عَطَلاً  
لَحَقْتُ أوئلَ حَيلِنَا سَرَ عانَتُهُمْ  
حَتّى أَسْرَنَ على الحُبَيِّ مَهْلُهُلاً  
إِنّا مَهْلُهُلاً لا تطيشُ رِماحُنا  
أيامَ تَنقُفُ في يَدَيْكَ الحَنَظَلاً  
ولتِ حُماثِكَ هارِبِينَ من الوَعى  
وبَقِيَتَ في حَلقِ الحَديدِ مُكَبَّلاً  
فلئنُ فُهِرَتِ لَقَدِ أَسْرُتُكَ عَنوَةٌ  
ولئنُ قُتِلتِ لَقَدِ تَكُونُ مُرَمَّلاً

(١) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق عبد الحميد محمود المعيني منشورات نادي القصيم الادبي بريدة السعودية ١٩٨٢م ص٢٣٢ تسعره: تثيره، الخود: النساء الشابات.

(٢) طفيل الغنوي، الديوان ص ١٢٩.

(٣) زهير بن جناب، الديوان ص٩٨ المَواصِم: المَجامع والأسواق، العطل: جمع عاطل المرأة لا حلي عليها، الحبي: ماء لبني بكر و تغلب، العنوة: القهر والقسر رمل: لطح بالدم.

ويعيرهم مرة ثانية بهزيمتهم، وأنهم فروا حذر الموت تاركين أسلابهم ونساءهم، المترفات المنعمات، ليقعن في أيدي عدوهم، دليلاً حسيرات، يقول<sup>(١)</sup>: من الخفيف

أَيْنَ أَيْنَ الْمَفْرُ مِنْ حَذَرِ الْمَوِّ      تِ؟ وَإِذْ يَتَّقُونَ بِالْأَسْلَابِ  
إِذْ أَسْرَنَا مُهْلَهلاً وَأَخَاهُ      وَابْنَ عَمْرٍو فِي الْقَدِّ وَابْنَ شَهَابِ  
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلِبِ كُلِّ بَيْضَاءِ      رَقُودِ الضُّحَى بَرُودِ الرُّضَابِ  
يَوْمَ يَدْعُو مُهْلَهُ: يَا لِبِكْرِ      هَا أَهْدِي حَفِيظَةَ الْأَحْسَابِ  
وَيَحْكُمُ وَيَحْكُمُ أَبِيحَ جَمَاكُمُ      يَا بَنِي تَغْلِبِ أَمَا مِنْ ضِرَابِ

أما الأفوه الأودي فيباهي بأنهم سبوا النساء المنعمات المترفات، اللواتي يلبسن الملابس الطويلة، بعد أن عجز رجالهن عن حمايتهن والذود عنهن، وأنهم تركوا هؤلاء النسوة الحسان للعبيد والعضاريط، يتحدثون إليهن ويعبثون بهن، وفي هذا إذلال لخصومهم وإهانة لعدوهم، يقول الأفوه الأودي<sup>(٢)</sup>: من الطويل

فَأَبْنَا بَحورٍ كَالطَّبَاءِ وَجَامِلِ      وَلَمْ يَمْنَعِ الْبَيْضَ الْحَسَانَ بُعُولِهَا  
تُنَاغِي الْعَضَارِيطَ الْمَشَاءَ خِرَانِدُ      تُمَسِّحُ أَطْرَافَ الْقِلَاصِ ذِيُولِهَا

ويفخر مجمع بن هلال بأنه سبى امرأة من مجاشع، فامتأ قلبها خوفا ورعبا، وصدرها جزعا وحزنا، وهي قد أصبحت سبية لا تملك إلا الدمع ينهمر من عينيها، والدعاء عليه بالشقاء والتعاسة يصرخ به لسانها، فلقد أتعسها بصنيعه هذا، وألمها بأخذها عن زوجها وأبنائها، يقول<sup>(٣)</sup>: من الطويل

وَعَاثِرَةَ يَوْمَ الْهَيْبِ مَا رَأَيْتُهَا      وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْخَلْبِ مَجْرَعِ  
لَهَا غَلَلٌ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِيَارِحِ      شَجَى نَشِبٌ وَالْعَيْنُ بِالْمَاءِ تَدْمَعُ  
تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا      تَعَسَّتْ كَمَا اتَّعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعِ  
ويتحدث عامر بن الطفيل في قصيدته التي مطلعها<sup>(٤)</sup>: من الوافر  
أَلَا طَرَقْتَكِ مِنْ حَبْتِ كُنُودِ      فَقَدْ فَعَلْتُ وَأَوَّلْتُ لَا تَعُودُ

(١) زهير بن جناب، الديوان ص ٦٢، الأسلاب: جمع السلب، كل شيء على الإنسان من ثياب و سلاح، الرضاب: الريق، الحفيظة: الغضب، الضراب: المضاربة بالسيوف

(٢) الطرائف الأدبية ص ٢٢.

(٣) المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة نشرة أحمد أمين وعبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥٢ م ٢: ٢١٦ الخلب: حجاب القلب، أصل الغلل: الماء يجري بين الشجر، الحليل: الزوج.

(٤) عامر بن الطفيل، الديوان ص ٤٩ الطروق: الإتيان بالليل، الخبت: موضع.

عن صنيعة في بني لُجَيْمٍ وعبد القيس، فقد أسر ساداتهم، ولقيت عبد القيس منه وبالاً شديداً، فقد صبحتهم خيول بني عامر، عليها الفرسان الأقوياء، والأبطال المتعطشون لسفك الدماء، بأيديهم السيوف اللاوامع، والأسنة البوارق، يخطفون بها هامات القوم خطفاً، ويجندلون رؤسهم أرضاً، وعدد بعضاً من فرسانهم الذين قتلوهم، وعاد هو وقومه منتشين بالغلبة، فرحين بالنصر، وقد أرددوا السبايا خلفهم، يقول: من الوافر.

وَأُرْدَفْنَا نِسَاءَهُمْ وَجِنًّا      وَقَدْ دَمِيَّتْ مِنَ الْخُدُودِ

لقد عادوا بالنساء وجلات مذعورات، لا يملكن- وقد قتل الفرسان- إلا الصراخ والعويل، البكاء والدموع، ولطم الوجوه وخمش الخدود اللواتي أدمينها بأظفارهن، فسالت الدماء حمراء قانية، وفي تصويره هذا إذلال للعدو، وإهانة للخصم، وشعور بنشوة النصر والغلبة.

وفي قصيدة أخرى يفخر بانتصاراته على قبائل كثيرة، ذكر أسماءها، منها: مذحج وعك وجذام وأزد شنؤة وبنو شيبان وغيرهم كثير، فقد قتلوا الرؤساء وأنفوا السادة الزعماء، وحازوا الغنائم والأسلاب، وعادوا منتصرين، يقول<sup>(١)</sup>: من الوافر

وَجِنًّا بِالنِّسَاءِ مُرْدَفَاتٍ      وَأُدُودٍ فَكَّرْنَا لَنَا طَعَامًا  
وَقَدْ نَلْنَا لِعَبْدِ الْقَيْسِ سَبِيًّا      مِنَ الْبَحْرَيْنِ يُفْتَسَمُ اقْتِسَامًا  
وَأَقْلَنَّا عَلَى الْحَوْمَانِ قَيْسٌ      وَأَسْلَمَ عِرْسَهُ ثُمَّ اسْتَقَامًا

فالفارس يجعل سبيته خلفه، وهي في حالة من الذعر والهلع والفرع، والشاعر يعبر بالأرداف عن السبي، لما في ذلك من وقع مؤلم وأثر مروع في نفوس عدوه، وازدراء وإذلال لخصومه، الذين لم يستطيعوا الوفاء لنسائهم بحمايتهم والدفاع عنهن، فأضاعوا الحريم، وعجزوا عن حفظ ما ينبغي عليهم حفظه وحمايته.

وفي يوم وادي الأخرميين الذي كان لتغلب على صُداء، وعادت تغلب بالأسرى والنساء والنعيم، فخر عمرو بن كلثوم بصنيعهم هذا، في الوقت الذي سخر فيه من قائد عدوه المسمى جحشا، مع اعترافه بشجاعته وقوته، وحرصه على حماية نساء صُداء، إلا أن عمرا تمكن منه، ومن كثير من رجال قومه، فقد قتلوا منهم سبعين جحشا، وعادوا مع الأسلاب والأسرى والسبايا، يقول عمرو مفتخرا<sup>(٢)</sup>: من الوافر

وَأَعْرَضَ فَارِسُ الْهَيْجَاءِ جَحْشٌ      وَجَحْشٌ نِعْمَ حَامِيَةُ النِّسَاءِ  
فَنَادَى فِي الْعَجَاجَةِ أَيْنَ عَمْرُو؟      كَأَنِّي فِقْعَةٌ أَوْ طَيْرٌ مَا عِ  
فَأَطَعْنُهُ وَقُلْتُ لَهُ: حَذَّنْهَا      مُشَوِّهَةٌ تَجَسُّ بِالدِّمَاءِ

(١) عامر بن الطفيل الديوان ص ١١١.

(٢) عمرو بن كلثوم، الديوان ص ٩ الفقع: الرخو و الرديء من الكمأة، تجسس: تفجر، الهناء: القطران.

فما أفترقت لذاك بنات نعشٍ ولا كسفت له شمسُ السماءِ  
 قتلنا منهم سبعينَ جَحْشاً وولونا بأففيةِ الإماءِ  
 وأبنا بالهجانِ مُرَدَفَاتٍ حَطَبْنَاهُنَّ بِالْأَسْلِ الظَّمَاءِ  
 وقَدْنَا مِنْهُمُ سَرَوَاتٍ قَوْمٍ كَجُرْبِ الْإِبِلِ نُطَلَى بِالْهِنَاءِ

وصبح عامر بن الطفيل في غارة بني عبس، وقتك ببني مرة، وانتصر على لقيط بن زرارة، وعاد بالفئ والسبايا يصرخن ويبيكين، ولا يجدن لهن ناصرا أو معينا، يقول<sup>(١)</sup>: من الوافر

فأبنا غانمين بما استنأنا نسوق البيضَ دَعَوَاهَا الْأَيْلُ

وقريبا من هذا ما فعله قيس بن الحدادية في غارته على هوازن، فقد قتل كثيرا من رجالاتها، وعاد بالنعم والنساء الحسان، يقول<sup>(٢)</sup>: من الطويل

وأبنا بإيلِ القومِ تُحْدَى وَنِسْوَةٍ يُبْغِيْنَ شِلْوَأَ وَأَسِيرَأَ مُجْرَحَا  
 غَدَاةَ سَقِينَا أَرْضَهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَبْنَا بِأَدَمٍ كَنَّا بِالْأَمْسِ وَضَحَا

وداست خيل عبيد بن العزى السلامي فقيما فمأبقت لهم من مخبر، وعاد يسوق الإبل السود برعاتها، ويقود النساء الحسان اللواتي يشبهن الظباء في حسنهن، يقول<sup>(٣)</sup>: من الطويل

وَرُحْنَا بِبَيْضِ كَالظَّبَاءِ وَجَامِلٍ طِوَالِ الْهُوَادِي كَالسَّفِينِ الْمُقَيَّرِ  
 وكذلك سبى نساء من جليحة:

سَبِينَا نِسَاءً مِنْ جَلِيحَةٍ أَسْلَمَتْ وَمِنْ رَاهِبٍ فَوْضَى لَدَى كُلِّ عَسْكَرٍ

ومدح الأعشى الكبير قيس بن معد يكرب الذي أذل كثيرا من القبائل وسبى نساءهم، (وفيها) الغانية المترفة الممتلئة الجسد، حتى أنها لضخامتها تأتزر بثوبين، لقد لفت أحدهما على الآخر، وهي جميلة جدا تعلق التمام وقاية من الحسد<sup>(٤)</sup> يقول الأعشى الكبير<sup>(٥)</sup>: من المتقارب

(١) عامر بن الطفيل: الديوان ص ٩٧

(٢) داوود غطاشة، حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية ٢: ٤٠٩.

(٣) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٢ م ١٣٣، البيض: النساء، الجامل: القطيع من الإبل مع رعاته وأربابه الهوادي: الأعناق، المقير: المطلي بالقار

(٤) احمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ص ٤٦٨.

(٥) الأعشى الكبير، الديوان، شرح وتعليق محمد محمد حسين دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ م ص ٩٩، اللفاق: ثوبان يلفق أحدهما على الآخر، الإزار: الملحفة وكل ما ستر، الغبوق: خمر المساء، تنص: تنصب، اليسار: اليسر والسهولة.

فَيَارُبَّ نَاعِيَةَ مِنْهُمْ      تَشُدُّ اللَّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَاراً  
تَنُوطُ التَّمِيمِ وَتَأْبَى الْعَبُورُ      قَ مَنْ سِنَّةَ النَّوْمِ إِلَّا نَهَاراً  
مَأْكَتَ فَعَانَقَتْهَا لَيْلَةٌ      تَنْصُ الْقُعُودَ وَتَدْعُو يَسَاراً

وترثي الخنساء زوجها مرداس بن أبي عامر السلمي، مفتخرة أنه كان يسبي النساء،  
تقول<sup>(١)</sup>: من الطويل

وَسَبِي كَارِمِ الصَّرِيمِ تَرَكْتُهُ      خِلَالَ دِيَارٍ مُسْتَكِيناً عَوَاطِلُهُ  
وكذلك ترثي جنوباً لهذلية أخاها عمراً، الذي كان يخرج الحسناء المتطيبة من خدرها،  
ويسوقها سبية مذعنة، تقول<sup>(٢)</sup>: من البسيط

وَالْمُخْرِجُ الْعَاتِقَ الْحَسَنَاءَ مُدْعِنَةً      فِي السَّبْيِ يَنْفُحُ مِنْ أَرْدَانِيهَا الطَّيِّبُ

#### هجو من لا يحمي نساءه

هجا الشعراء أولئك الذين لا يقدرّون على حماية نسائهم من السبي، وعيروهم لفرارهم عن  
نسوتهم، وعجزهم عن الدفاع عنهن، فهذا سحيم بن وثيل الرياحي يصور عجز بني العنبر الذين  
أسلموا نساءهم له بقوله<sup>(٣)</sup>: من البسيط

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أُنْجِيَةٌ      يُعَدَى عَلَيْهَا كَمَا يُعَدَى عَلَى النَّعْمِ

وهزم البكريون بني مازن التميميين يوم صحراء كلبية، فاعتذر لذلك حُرَيْثُ بن سلمة وذكر  
أنهم هزموا البكريين في أيام وحروب كثيرة، وأنهم قتلوا من ساداتهم وساقوا نساءهم سبايا، يقول  
سحيم بن وثيل الرياحي في ذلك<sup>(٤)</sup>: من الطويل

وَإِنْ تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءَ كَلْبِيَّةٍ      أُصِيبَتْ فَمَا ذَاكُمَ عَلَيَّ بَعَارٍ  
أَلَمْ تَكُ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ هَذِهِ      عَلَى الْوَقْبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارٍ  
فَتَلَّكَ سَرَابِيلُ بِنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا      عَوَارِيَّ وَالْأَيَّامَ غَيْرُ قِصَارٍ  
وَكَأَنَّ أَخَذْنَا مِنْكُمْ مِنْ أُخَيْدَةٍ      مِنْ الْبَيْضِ شَنْبَاءِ اللَّثَاثِ نَوَارٍ

(١) الخنساء، الديوان، دار صادر و دار بيروت ١٩٦٠ ص ١٢٥، الأرام: الغزلان البيضاء، الصريم: موضع،  
المستكن: الذليل العاطل: جمع عاطل وهي غير المتزينة من النساء.

(٢) رياض الأدب ص ٧٨.

(٣) عبد الحميد المعيني شعر بني تميم ص ٢٦٨، انجبة: من المناجاة وقيل الانجبة النيام.

(٤) عبد الحميد المعيني، شعر بني تميم ص ٤٠٥، صحراء كلبية: كلبية واد باليمامة، الوقبي: ماء لبني مازن من  
تميم، سراويل: دروع، عواري: جمع عارية يتناقلونها بينهم، اخيذة: سبية شنباء اللثات: بيضاء الأسنان.

فالشاعر يعيرهم هزيمتهم في يومي الوَقْبَى وسِفَار، في الوقت الذي يرنو فيه ليوم ينتصر فيه عليهم، معذرا عن فراره يوم صحراء كلبية و الأيام دول.

ويخاطب عوف بن عطية التيمي قوما غزاهم بفتيان أشداء من قومه، فصيحهم بغارته، فقتل من قتل، وأسر من أسر، وسبى النساء الحسان اللواتي عجز قومهن عن حمايتهن لشدة غارته، يقول<sup>(١)</sup>: من الكامل.

وَلنَعْمَ فِتْيَانُ الصَّبَاحِ لَقِيْتُمْ      وَإِذَا النِّسَاءُ حَوَاسِرُ كَالْعُنُقْرِ  
مَنْ بَيْنَ وَاضِعَةِ الخِمَارِ وَأَخْتِهَا      تَسْعَى وَمِنْطَقُهَا مَكَانَ المِنْرِ  
وَنَكَرُوا أَوْلَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ      كَرَّ المَحَلَاءِ عَن خِلَاطِ المَصْدَرِ

ومرنا هجو زهير بن جناب الكلبى تغلب لما فرّت عن نساها وأسلمتها له، وذلك قوله<sup>(٢)</sup>: من الكامل

تَبَّأ لِنَعْلِبَ إِذْ تُسَاقُ نِسَاؤُهُمْ      سَوَّقَ الإِمَاءِ إِلَى المَوَاسِمِ عَطَلَا  
لَحَقْتُ أَوَائِلَ خَيْلِنَا سَرَ عَانَهُمْ      حَتَّى أَسْرَنَ عَلَى الحَبِي مُهْلَهَلَا

فلقد فر التغلبيون عن نسايم مسرعين، إلا أن خيل زهير استطاعت أن تلحق بأسرهم فرارا، وأحرصهم على النجاة، فردت أوائلهم واستاقت حرهم.

وينتصر مالك بن حريم الهمداني على بني الحارث بن كعب، فيكونوا بين قتيل تحوم الطير فوقه، وطريد فار يطلب النجاة، وقد أسلموا نساءهم الحسان، من كل بيضاء جميلة، وأنسة حسنة لطيفة، فأصبحت غنيمة لمالك الهمداني وقومه يقول<sup>(٣)</sup>: من الوافر

فَوَلُّوا عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَكُونَا      مِنْ البَيْضِ الأَوَائِسِ وَالخَرَادِ  
غَنِيمَةٌ جَيْشِنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ      مُعَكَّرَةٌ الطَّرَائِفِ وَالثَّلَادِ  
وَلَعَسَ كَالطَّبَّاءِ مَرَّ دَفَاتٍ      كَأَنَّ عِيُونَهَا وَاهِي المَزَادِ

فقد أردفوا نساء العدو خلفهم، إمعانا في مذلتهم و هوانهم، ولا تملك النسوة إلا الصراخ والعويل، والدموع الغزار تنهمر من عيونهن، كالماء ينهمر من أفواه القرب.

(١) المفضل بن محمد ابو العباس الضبي، المفضليات، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر عيد السلام هارون بيروت الطبعة السادسة ص ٣٢٧، العنقر: أصل البقل والقصب والبردي مادام ابيض مجتمعا ولم يتلون المخلأ: البعير يمنع من ورود الماء، المصدر: صدور الإبل عن الماء أراد نطردهم كطرد الإبل عن الماء.

(٢) زهير بن جناب، الديوان ص ٩٨، عطلا: المرأة لا حلي عليها، الحبي: ماء لبني بكر وتغلب.

(٣) أبو محمد الحسن بن احمد الهمداني، الإكليل من أخبار اليمن وانشاب حمير، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي مكتبة الجيل الجديد صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ١٦٧: ١٠ الواهي: الضعيف، الخلق، المزاد: القربة.

واشتفى حاجز بن عوف الأزدي، لما قتل من بني هلال من عامر بن صعصعة، انتقاماً لما كانوا فعلوه ببعض قومه، وساق نسوتهم مردفات باكيات، يقول<sup>(١)</sup>: من الكامل

وَلَقَدْ شَفَانِي أَنْ رَأَيْتُ نِسَاءَكُمْ      يَبْكِينَ مُرْدَفَةً عَلَى الْأَكْفَالِ

ويفخر عامر بن الطفيل بغارة له شنها على بني عبس، ويسخر من عنتره العبسي الذي نجا على حصانه الأغر، وترك عبلة للقهر والأسر، فساقها قوم عامر هي وغيرها من العبيسات سبايا في مذلة و هوان، يقول عامر<sup>(٢)</sup>: من الكامل

مِنْ آلِ عَبْسٍ قَدْ شَفَيْتُ حَرَارَتِي      وَغَنَمْتُ كُلَّ غَنِيمَةٍ لَمْ تَضْهَلِ  
وَنَجَا بَعْنَتْرَةَ الْأَعْرُ مِنْ الرَّدَى      يَهْوِي عَلَى عَجَلٍ هُوِيَّ الْأَجْدَلِ  
وَتَرَكْتُ عَبْلَةَ فِي السَّوَاءِ لِفَتْيَةٍ      بَاتُوا عَلَى كُنْفِ الْخِيُولِ الْجَوْلِ  
رَاحُوا بِهِنِدٍ وَالْوَجِيهَةِ عَنُوءَ      يَوْمَ الْوَقَاعِ عَلَى نَجَائِبِ دُمَلِ

وتتهزم ضبية أمام العبسيين، ويفر فرسانها، فيعيرهم عنتره العبسي صنيعهم هذا، فقد فروا وتركوا النسوة لا حامي لهن ولا ناصر، فكان أن اقتادهن العبسيون قهرا واقتدارا، يقول عنتره العبسي<sup>(٣)</sup>: من الطويل

فَخَلُّوا لَنَا عَوْدَ النَّسَاءِ وَجَبُّوا      عِبَادِيَدَ مِنْهَا مُسْتَقِيمٍ وَجَامِحِ

ويعير المرعش الكلبى عدوه لعجزه عن إدراك ثأره، و الانتقام منه و الثأر لسباياه، فبقي ذليلاً عاجزاً، يقول المرعش<sup>(٤)</sup>: من البسيط

لَوْ كُنْتُ حُرّاً كَرِيماً دَا مُحَافِظَةً      مَا نِمْتُ إِلَّا وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعَلُ  
حَتَّى تُسَاقَ نِسَاءُ سَوْقِ نِسْوَتِكُمْ      بِمَا أَصَابَكُمْ أَوْ يُبْلَغَ الْأَجَلُ

وقد تلجأ المرأة إذا اشتد الفزع، وفر الرجال، وخشيت على نفسها السبي، إلى السفور وكشف الوجه والشعر، وتولي هاربة فزعة، ليظن أنها أمة فلا يفتن لها فلا تسبي، يقول سبرة بن عمرو الفقعسي<sup>(٥)</sup>: من الطويل

أَتَنْسَى دِفَاعِي عَنكَ إِذْ أَنْتَ مُسَلَّمٌ      وَقَدْ سَأَلَ مِنْ دُلِّ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ

- (١) داوود غطاشة، حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة ٣٣٢: ٢
- (٢) عامر بن الطفيل، الديوان ٩٢ تضهل: تجتمع، الاجدل: الصقر، الاغر: فرسه، الذميل: ضرب من السير سريع.
- (٣) عنتره، الديوان، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي بيروت ١٩٧٠ م ص ٣٠٢، العوذ: حديثة النتاج جيبوا: هربوا، العباديد: المتفرقون، الجامح: الذاهب على وجهه.
- (٤) البحتري ابو عبادة الوليد بن عبيد، الحماسة، الأب لويس شيخو اليسوعي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٧م، ص ٣٠.
- (٥) المرزوقي، الحماسة ٢٣٧: ١، قراقير: اسم واد.

وَيَسُوئُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ

ويقول قيس بن الخطيم في حرب حاطب<sup>(١)</sup>: من الطويل

صَبَحْنَاهُمْ شَهْبَاءَ يَبْرِقُ بَيْضُهَا تُبِينُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ الْهُوَارِبِ

وقد تسخط المرأة على قومها، وتعيرهم فرارهم عن عدوهم، وعدم قدرتهم على حمايتها والدفاع عنها، مما أوقعها في ذل السبي، وهوان الانتزاع، على نحو ما صنعت سلمى بنت المخلف في يوم النصار، لما هجت جؤابا وعيرته فراره قائلة<sup>(٢)</sup>: من البسيط

لَحَى الْإِلَهُ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ، وَقَنَّبَ الْعَيْرِ جَوَابَا

كَيْفَ الْفَخَّارِ وَقَدْ كَانَتْ بِمُعْتَرِكِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو دُبْيَانَ أَرْبَابَا

لَمْ تَمْنَعُوا الْقَوْمَ إِذْ سَلُّوا سَوَامَكُمْ وَلَا النَّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْرَابَا

### أحوال السبايا ومعاملتهن

تباينت أحوال السبايا وكذلك معاملتهن، إذ لم تكن وفق نمط واحد، فقد يُحسن إلى السبية وتعامل معاملة حسنة، فيتزوجها سابيها ويستولدها، فتعيش عنده مكرمة وإن كانت تستشعر في داخلها مرارة السبي، ومذلة الغربة، وقد يساء إلى بعضهن حدّ التعذيب والتحرقيق وبقر البطون، إلا أنها في كل الأحوال وبعد المعركة وهزيمة قومها تساق سوق الإبل بكثير من الشدة والقسوة، يسوقها العبيد والرقيق والأجراء، وهؤلاء مجبولون على الخسة والضعفة، فلا تأخذهم بها رحمة ولا شفقة.

فهذا بشر بن أبي خازم الأسدي، يصور ما ألحقه قومه ببني عامر، وكيف أن نسوتهم ملئت خوفا وفرعا، وطلبين النجاة إلى الأماكن المرتفعة، إلا أنهم ساقوهن بشدة وحزم، فدميت أقدامهن وأعجازهن، ويبلغ بشر مداه في قهره عدوه وتحقيره، و إذلاله وإرغام أنفه، لما جعل العبيد والأجراء، يستبطنون الحرائر البيض، المتعطرات المنطويات، يقول<sup>(٣)</sup>: من الطويل

تَبَيَّبْتُ النِّسَاءَ الْمُرْضِعَاتُ بِرَهْوَةٍ تَفَرَّأَ مِنْ هَوْلِ الْجَنَانِ قُلُوبُهَا

بَيِّي عَامِرٍ إِنَّا تَرَكْنَا نِسَاءَ كُمْ مِنْ الشَّلِّ وَالْإِجَافِ تَدْمَى عُجُوبُهَا

عَضَارُ يُطْنَا مُسْتَحْقَبُ الْبَيْضِ كَالدَّمَى مُضَرَّجَةٌ بِالزَّرْعَرَانِ جُيُوبُهَا

(١) قيس بن الخطيم، الديوان ص ٩١ كتيبة شهباء وبيضاء: إذا كانت صافية الحديد.

(٢) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن مكرم ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ المجلد الأول دار صادر بيروت ١٩٦٥م ٦١٨: ١.

(٣) بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت ١٩٩٥م، الرهوة: المكان المرتفع، الجنان: شدة الظلمة، الشل: السوق والطرده، الإجاف: السير الشديد، العجوب: الأعجاز، العضاريط: الأجراء والتباع.

ويسوق عروة بن الورد السبايا العامريات بلا هوادة أو رحمة، ويقسو عليهن، فلا يملكن إلا البكاء و شق الجيوب، فقد يئسن من استنقاذهن، و داخلهن الهلع والفرع، يقول عروة<sup>(١)</sup>: من الطويل

أَبْلَعُ لَدَيْكَ عَامِرًا إِنْ لَقَيْتَهَا      فَفَقَدْ بَلَغَتْ دَارُ الْحِفَاطِ فَرَارَهَا  
رَحَلْنَا مِنَ الْأَجْبَالِ، أَجْبَالِ طَيْبٍ      نَسُوقُ النِّسَاءِ عُوْدَهَا وَعِشَارَهَا  
تَرَى كُلَّ بَيْضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةً      تُفَرِّي إِذَا شَالَ السَّمَاءُ، صِدَارَهَا  
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَا انْفِلَاتَ لِرَحْلِهَا      إِذَا تَرَكْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دَارَهَا

ومعقر الباهلي يسوق نساء الأعداء أمامه سبايا باكيات معهن أطفالهن قد شمرن سوقهن، وأجهدهن البلاء وسال منهن العرق مع أن الجو بارد شديد البرودة وما ذلك إلا لاجهادهن في السير، وشلهن في المشي، يقول<sup>(٢)</sup> من الوافر

تَرَكْنَا الشَّعْبَ لَمْ نَعْقِلْ إِلَيْهِ      وَأَسْهَلْنَا كَمَا عَلَّمَ الْخَلِيفُ  
نَسُوقُ بِهِ النِّسَاءِ مُشَمَّرَاتٍ      يُخَالِطُهَا مَعَ الْعَرَقِ الْخَشِيفُ  
إِذَا اسْتَرَحَّتْ جِبَالُ الْقَوْمِ شُدَّتْ      وَلَا يَثْنِي لِقَائِمَةٍ وَظِيفُ

وقد تعرض السبايا على النار، كما فعل المنذر بن ماء السماء في سبايا شيبان، عندما أمر بإحراقهن، فكلمه رجل من قيس بن ثعلبة وتشفع عنده في إطلاق سراحهن، ففعل فقال الأعشى: من الطويل.<sup>(٣)</sup>

وَمِمَّا الَّذِي أَعْطَاهُ فِي الْجَمْعِ رَبُّهُ      عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا  
سَبَايَا بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أَوَارَةٍ      عَلَى النَّارِ إِذْ تُجَلَى لَهُ فَنِيَاتُهَا

أما عامر بن الطفيل، فقد بلغ من حقه على أزد شنوءة، أن بقر بطون الحبالي، يقول: <sup>(٤)</sup> من الطويل

بَقَرْنَا الْحَبَالِيَّ مِنْ شَنْوَةَ بَعْدَمَا      حَبَطْنَ بِفَيْفِ الرِّيحِ نَهْدًا وَخَنَعَمَا

(١) عروة بن الورد، الديوان، شرح بن السكيت ت ٢٤٤ هـ حققه عبد المعين الملوح مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ص ٨٦، العوذ: حديثه النتاج، العشار التي قربت ان تضع، و اراد النساء الحوامل والمرضعات الطفلة: الناعمة العوارض: الأسنان الضواحك تفري: تشق صدرها، الصدر: شيء تلبسه المرأة على صدرها.

(٢) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة ص ١١٤ نعل: نلجأ، مشمرات: مجدات في السير، الخشف: الثلج، الوظيف: مستدق الذراع والسلق من الخيل و الإبل.

(٣) الأعشى الكبير، الديوان ص ١٣٧، الفاقة: الفقر والحاجة يوم اواره: للمنذر بن ماء السماء على بكر، تجلى: جلا العروس؛ زينها.

(٤) عامر بن الطفيل، الديوان، ص ١١٨، بقرنا: شققنا، نهد وخنعم: حيان.

وذكر النابغة الذبياني حيرة السبايا، وهن مكروبات مهمومات، وجلات خجلات وقد ساقهن  
النعمان بن وائل<sup>(١)</sup> من الطويل.

فَأَبْ بِأَبْكَارٍ وَعُونَ عَقَائِلٍ      أَوَانَسَ يَحْمِيهَا امْرُؤٌ غَيْرَ رَاهِدٍ  
يُحْطِطُنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَفْعَدٍ      وَيَخْبَأْنَ رُمَانَ النَّدِيِّ النَّوَاهِدِ  
وَيَضْرِبْنَ بِالْأَيْدِي وَرَاءَ بَرَاغِزٍ      حِسَانَ الْوُجُوهِ كَالطَّبَاءِ الْعَوَاقِدِ  
عَرَائِرُ لَمْ يَلْقَيْنَ بِأَسَاءَ قَبْلَهَا      لَدَى ابْنِ الْجَلَّاحِ مَا يَثْقَنُ بَوَاقِدِ

وقريبا من هذا ما قام به النابغة مع قبيلته بني ذبيان لما نجاهم عن وادي أقر الذي كان حماه  
النعمان بن الحارث الغساني، ولكنهم لم يأخذوا برأيه ولم يسمعو نصحه فصور السبايا اللواتي  
استاقهن عمرو أخو النعمان، وهن حرائر ينفرون من السبي، ويأبين الرق، وينتظرن من يقوم  
على اطلاق سراحهن من زعماء قومهن، يقول النابغة: <sup>(٢)</sup> من البسيط

لَا أَعْرِفَنَّ رَبِّبًا حُورًا مَدَامِعُهَا      كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجُ دَوَارٍ  
يَنْظُرَنَّ شَزْرًا إِلَى مَنْ جَاءَ مِنْ عُرْضٍ      بِأَوْجِهِ مُنْكَرَاتِ الرَّقِّ أَحْرَارٍ  
خَلَفَ الْعَضَارِيطِ لَا يُوقِينَ فَاجِشَةً      مُسْتَمْسَكَاتِ بِأَقْتَابِ وَأُكْوَارٍ  
يُذَرِينَ دَمْعًا عَلَى الْأَشْفَارِ مُنْحَدَرًا      يَأْمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنِ وَابْنِ سَيَّارٍ

ويصور الأعشى سبايا الأعداء في يوم ذي قار، وقلوبهن تتقطع حشرات، بعد أن أنزلتها  
الرماح على حكمها، فأصبحت تحت رجال قومه الشجعان، يقول<sup>(٣)</sup>: من الوافر

أَلَا يَا رَبَّ مَا حَسْرَى      سُنْتُكُهَا الرَّمَّاحُ حَمَا

على أن الأعشى صور لنا المرأة السبية، التي تعيش في بيت ذوي القربى، تخدم أبناء  
عمومتها راغمة مكرهة، وذلك عندما تشتعل الحرب بين بطون القبيلة الواحدة، يقول<sup>(٤)</sup>: من  
الطويل

وَتَلْفَى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابْنَةَ عَمِّهَا      كَمَا كَانَ يَلْفَى النَّاصِفَاتُ الْخَوَادِمُ  
إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبْكَرَ بِنِّ وَائِلٍ      وَبَكَرُ سَبَبَتَهَا وَالْأَنْوْفُ رَوَاعِمُ

(١) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٣٩، العون: النصف من النساء، البرغز ولد البقرة شبه أولادهن به، العواقد:  
التي مدت أعناقها ابن الجلاح: النعمان بن وائل الكلبي.

(٢) النابغة الذبياني، الديوان ص ٧٥.

(٣) الأعشى الكبير، الديوان ص ٣٥٣.

(٤) الأعشى الكبير، الديوان ص ١٣١، الحصان: السيدة الكريمة، الناصفات: الخدامات.

ويترك بشر بن عليق الطائي أسرى عاملة لعضاريط قومه وأجرائهم، يعاملوهن بشدة وقسوة، ويطردونهن في السير طرداً، وهن ينحنن ويبكين، يقول<sup>(١)</sup>: من الطويل

وَرُحْتُمْ بِأَعْضَادِ الْمَطَايَا جِنَابِنَا      تَشْكُونَ مَصْحُوبًا مِنَ الْقَدِّ مُحْكَمَا  
تَسُوقُ عَضَارِيطَ الرِّكَابِ نِسَاءَكُمْ      وَقَدْ غَادَرُوا مِنْهُنَّ نَوْحًا وَمَأْتَمَا  
يُنْحِنُ عَلَى قَتْلِكُمْ عِنْدَ مَعْرِكِ      تَرْكُنَا بِهِ هَامًا يَصِيحُ مُهَشِّمًا

ويشفق عمرو بن بركة الهمداني على السبايا، فبين القوم أواصر قربي وشائج رحم، فما كان راغبا في سوق النسوة السبايا، كقطع من البقر يعثرن في الأوحال، لكن الحرب قاسية لا ترحم، يقول عمرو<sup>(٢)</sup>: من الوافر

كَأَنَّ نِسَاءَهُمْ بَقَرٌ مَرَّجٌ      خِلَالَ شَقَائِقِ نَطَأِ الْوُحُولِ  
لَهُنَّ صَوَاعِقُ يَعْرِفُنَّ فِينَا      بَنِي الْأَخْوَاتِ وَالنَّسَبِ الدَّخِيلِ  
بِكُلِّ خَبِيئَةٍ وَمَجَازٍ عُرْضِ      تَرَى نَمَطًا يُطَوِّحُ أَوْ حَمِيلاً

أما النابغة الذبياني فهو لا يريد لنساء بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أن يقعن في السبي، فهن النساء الحرائر الشريفات، ولذا فهو يحذر القوم من الملك عمرو بن الحارث الأصغر، لكنهم لم يصغوا إليه، ولم يأخذوا بنصحه، فكان أن وقع ما حذرهم منه، فأشفق على النسوة، وهو يقول: <sup>(٣)</sup> من الطويل

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا      وَصَاتِي، وَلَمْ تَنْجُ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي  
فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا أَعْرِفُنَّ عَقَائِلًا      رَعَائِبَ، مِنْ جَنَبِي أَرِيكَ وَعَاقِلِ  
صَوَارِبَ بِالْأَيْدِي وَرَاءَ بَرَاغِزِ      حَسَانِ كَارَامِ الصَّرِيمِ الْخَوَائِلِ  
خِلَالَ الْمَطَايَا يَتَّصِلْنَ وَقَدْ أَتَتْ      قِنَانُ أُبَيْرِ دُونَهَا وَالْكَوَائِلِ

ويبيض غريرات تبيض دمؤها      بمسئكره يدرينه بالأنامل

- (١) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، ص ١٨٩، العضاريط: الأجراء والتباع، المعرك: موضع الحرب، الهامة: الرأس، يصيح: أي لا يدرك بثأره.
- (٢) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، ص ١٠٢، بقر مراج: مرسل في المرعى، الشقائق: جمع شقيقة، الأرض الصلبة الخبيبة: الطريقة في الرمل، النمط: ضرب من البسط، الخميل: الطنافس.
- (٣) النابغة الذبياني، الديوان ص ١٤٣، بنو عوف: قوم النابغة، الرعابيب: النواعم البيض، البراغز: اولاد البقر، شبه الولدان بها، الصريم: المنقطع من الرمل، الخواذل: التي خذلت صواحبها، القنان و أبير والكوائل: جبال الغريرات: اللواتي تم يجربن الامور.

وأحيانا لا تملك النسوة السبايا إلا العويل والصراخ، وإن كان الأمر كذلك، فقد ترك قومهن نساء الشاعر في وقعة سابقة كذلك، فهذه بتلك، يقول عمرو بن معد يكرب وقد غزا بني الحارث وكانوا غزوه من قبل<sup>(١)</sup> من الكامل

تَرْكُوا السَّوَامَ لَنَا وَكُلَّ حَرِيدَةٍ      بِيضَاءَ حَرُوبَةٍ وَأُخْرَى تَيْبٍ  
عَجَبْتُ نِسَاءَ بَنِي زِيَادٍ عَجَّةً      كَعَجِيجِ نِسَوَاتِنَا غَدَاةَ الْأَرْنَبِ

وأحيانا كانوا يستنكحون السبايا ويستولدوهن، ويجدون في ذلك عزة ومنعة لأنفسهم، فقد مهروهن حد الرماح وظيفات السيوف، في الوقت الذي أمسى أقوامهن أذلاء مقهورين، لا يقدرّون على استخلاصهن وانقاذهن، يقول عمرو بن كلثوم<sup>(٢)</sup>: من الوافر

وَأَبْنَا بِالْهَجَانِ مُرَدَّفَاتٍ      حَطَبْنَا هُنَّ بِالْأَسْلِ الظَّمَاءِ

ويقول الأعشى<sup>(٣)</sup>: من المتقارب

وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ      وَأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فَادَهَا

ويقول عمرو بن يربوع الغنوي هاجيا عمرو بن معد يكرب الزبيدي<sup>(٤)</sup>: من المتقارب

تَكَحْنَا نِسَاءَهُمْ عَنُوءً      بِيِضِ الصَّفَاحِ وَمُرَانِيهَا

وفي يوم النشاش وكان لحنيفة على بني نمير، يقول عمرو بن الذارع<sup>(٥)</sup>: من الطويل

أَجْدَا لَسَعْدَى السَّيْرِ إِذْ بِنْتَمَا بِهَا      وَقَوْلَا لَسَعْدَى لَا نَمِيرَ بْنَ عَامِرٍ

فَقَدْ بَدَلْتُ رَكْبًا جَنَابًا بِأَهْلِهَا      وَتَرْكِيهَا فِي السَّيْرِ سِيرَ الْهَوَاجِرِ

إِذَا نَحْنُ سَيْنَا زَوَجَّتْنَا رِمَاحَنَا      كَمَا أَمَكَنْتُنَا مِنْ بَنَاتِ الْمُهَاجِرِ

(١) عمرو بن معدى كرب الزبيدي، شعره، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق الطبعة الثانية ١٩٨٥م ص٦٧م، السوام: الأبل الراعية، الخريدة: البكر من النساء، الخرعية: الشابة الحسنة، العجة: الصوت، الأرنب: موضع.

(٢) عمرو بن كلثوم، الديوان، ص١٠

(٣) الأعشى الكبير، الديوان ص١٢٥

(٤) الأمدى أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى، المؤلف والمختلف، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦١م، ص٢٣٣ بيض الصفاح: أراد السيوف، المران: الرماح.

(٥) المرزبانى ابو عبد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، صححه وعلق عليه ف، كرنكو دار الجبل بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص٤١.

وافتخر المطوح بن عثمان التغلبي على بني نجير أنهم نكحوا نساءهم قسراً، وأن بني تغلب أعزة لم تغتصب لهم نسوة، يقول المطوح<sup>(١)</sup>: من الطويل

هُمُ أَنْكَحُوا بِالْعَصَبِ مِنْ قَتِيَاتِكُمْ جَهَاراً وَمِنْ شَرِّ الْمُجَاهِرَةِ الْعَصَبُ  
وَمَا كَانَ مَنَا عِنْدَ قَوْمِ سَبِيَّةٍ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْوَالِنَا عِنْدَهُمْ نَهْبُ

أما حاتم الطائي وقومه، وإن كانوا سبوا النسوة قسراً، وأخذوهن عنوة، واستنكحوهن بحد السيف، إلا أنهم أكرموهن ولم يستخدموهن، وإنما خلطوهن بنسائهم، واستولدوهن فجئن برجال أبطال، وقتين أشداء، شجعان في القتال، أقوياء في الحروب، يقول: (٢) من الطويل

وَمَا أَنْكَحْنَا طَائِعِينَ بِنَاتِهِمْ وَلَكِنْ خَطَبْنَاهَا بِأَسْيَافِنَا قَسْرًا  
فَمَا زَادَهَا فِيْنَا السِّبَاءَ مَذَلَّةً وَلَا كَلَّفَتْ خُبْرًا وَلَا طَبَّخَتْ قَدْرًا  
وَلَكِنْ خَلَطْنَاهَا بِخَيْرِ نِسَائِنَا فَجَاءَتْ بِهِمْ بِيضًا وَجُوهُهُمْ زُهْرًا  
وَكَائِنٌ تَرَى فِيْنَا مِنْ ابْنِ سَبِيَّةٍ إِذَا لَقِيَ الْأَبْطَالَ يَطْعُهُمْ شَرًّا  
وَيَأْخُذُ رَايَاتِ الطَّعَانِ بِكَفِّهِ فَيُورِدُهَا بِيضًا وَيُصْدِرُهَا حُمْرًا  
أَعْرَ، إِذَا اغْبَرَ اللَّثَامُ رَأْيَتَهُ إِذَا مَا سَرَى لَيْلِ الدُّجَى قَمْرًا بَدْرًا

وخالد بن الصّعب النهدي، لا تطاوعه نفسه في سبي نساء جرهم، فقد كان القوم متجاورين بينهم أو أصر قربي ووشائج رحم، وإن كان جنح السادة وجاروا عن القصر، وانحرفوا عن الحق، ومالوا عن رعاية الذمام، وستبدلوا الأسنان والرماح، بالود والارحام والصلاح، فإن هذا لا يرضي خالدا ولا يجعل قلبه يغلي حقد وشناءة عليهم، ولا يسوغ له قتل الرجال وسبي النساء، يقول<sup>(٣)</sup>: من البسيط

أَتَعْرِفُ الدَّارَ قَفْرًا أَمْ تُحْيِيهَا أَمْ تَسْأَلُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِ أَهْلِهَا  
دَارٌ لِنَهْدٍ وَجَرَمٍ، إِذْ هُمْ خُلُطٌ إِذِ الْعَشِيرَةُ لَمْ تَشْمَتْ أَعَادِيهَا  
حَتَّى رَأَيْتُ سَرَّاءَ الْحَيِّ قَدْ جَنَحَتْ تَحْتَ الضَّبَابَةِ تَرْمِينَا وَتَرْمِيهَا  
وَأَصْبَحَ الْوُدُّ وَالْأَرْحَامُ بَيْنَهُمْ زُرُقَ الْأَسْنَةِ، مَجْلُوزًا نَوَاجِيهَا

(١) الخالديان، ابوبكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم، كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، حققه وعلق عليه السيد محمد يوسف مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م ١٩٣: ١.  
(٢) حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، الديوان، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة ص ٢٩٨، القسر: القهر والغلبة، زهر: بيض تضرب للحمرة.  
(٣) داوود غطائشة، حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الاخيرة ٩٥٥: ٤، جرم ونهد: حيان يمانيان، الاسنة: الرماح، الجلز: الحلقة المستديرة اسفل السنان.

إذ لا تُشايِعُنِي نَفْسِي لِقَتْلِهِمْ      ولا لأخَذِ نِساءِ الهَوْنِ أَسْبِيها

على أن هناك من كان يمتن على السبايا، ويطلق سراجهن دون مقابل، بل هناك من كان يطلق سراجهن قبل أن يصل بهن إلى قومه كما فعل علقمة بن سيف البكري في يوم سفح متالع، وهو يوم لبني تغلب على بني تميم، فقد منّ علقمة على السبايا وأعتقهن وحملهن إلى قومهن قبل أن يصل بلاده، فقالت امرأة من بني مجاشع شاكرة له صنيعه: <sup>(١)</sup> من الوافر

جَزَى الرَّحْمَنُ عَلْقَمَةَ بَنَ سَيْفٍ      على النَّعْماءِ خَيْرَ جَزَا مُثابِ  
عن آلِ مُجاشِعِ وَبَنِي فُقَيْمِ      وأَحْياءِ النَّبْرَاجِمِ وَالرِّبابِ  
وَحَيِّي نَهْشَلِ وَسِراةِ سَعْدِ      بِسِفْحِ مُتالِعِ وَلِوَى إِرابِ  
جَزَزَتْ نِواصِباً مَنافِرَاحَتْ      نِساءِ الحَيِّ طاهِرَةً النَّيابِ  
وأطَلَقَتْ العُناةَ وَكانَ يوماً      يَعْصُ الشَّيخُ مِنْهُ بِالشَّرابِ  
فَأَنْتِ المَرْءُ تَشْكُرُ نِعْمَتاهُ      عَلَيْنَا ما بَدَا وَضَخُ السَّرابِ

وكان رجل من كندة في جوار قبيلة مراد، فغزا ثعلبة بن حبيب التغلبي مرادا، فأسر، وسبى وساق الكندي وزوجه فيمن ساق من أسرى وسبايا، ولما مرّ ثعلبة بامرأة الكندي، عرفته بنفسها، فأطلق سراجهما وزوجها، ووهبها السبي عامة، فقالت تشكره <sup>(٢)</sup>: من الوافر

ساأشْكُرُ ما حَبَيْتُ بَنِي عَدِيٍّ      وشُكْرِي مِنْهُمُ لِبَنِي حَبِيبِ  
لِثَعْلَبَةِ الأَعْرَ عَليَّ مَنْ      بِإِطْلاقِي وَفَكِّي مِنْ كُرُوبِي  
وقَدِ عُلَّتْ يَدايَ فَصِرَتْ رَهْناً      أَسيراً رافِقاَ بُرْدَى شُعُوبِ  
فَأَنْعَمَ نِعْمَةً سَبَقَتْ وَسارَتْ      بِإِطْلاقِ الكُبولِ عَنِ العَرِيبِ  
وأَعْطاني الخَرَائِدَ مِنْ مُرادِ      وَعِراسِي مُنْتَهَى نَفْسِي وَطَيْبِي  
وأَعْطاني مُؤَبَّلَةً هِجاناً      وَقَدْ حُويْتُ عَلى ماِ الكَثِيبِ  
فَلَنْ أَكْفُرُ بِلاءَ بَنِي عَدِيٍّ      وَعَفْوَهُمْ عَلى حَدَثِ الخُطُوبِ

ولما أغار الحصين بن الحمام على بني عقيل استاق النساء بعدما أئخن فيهم وكان في السبايا أسماء بنت عمرو وقال <sup>(٣)</sup>: من الوافر

(١) الشمشاطي ابو الحسن علي بن محمد بن المطهر، الانوار ومحاسن الاشعار، تحقيق السيد محمد يوسف، راجعه عبد الستار احمد فراج مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٧م ١٦٧: ١.

(٢) الشمشاطي، الانوار ومحاسن الاشعار، ٢٣٢: ١.

(٣) الحصين بن الحمام المري سيرته و شعره، جمع وتحقيق شريف علاونة، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان ص ٧١.

تَرَكَنا من نساءِ بَنِي عَقِيلٍ      أَيامِي تَبْتَغِي عَفْدَ النَّكَاحِ

فأُبْنَا بالنَّهَابِ وبالسَّبَايا      وبالبييضِ الخرائدِ واللَّقَاحِ  
وأَعْتَقْنَا ابنةَ العمريِّ عمرو      وقد حُضْنَا عليها بالقِدَاحِ

واستنجد دريد بن الصمة بيزيد بن عبد المدان في نجران ليرد عليه سبي أناس من ثمالة كانوا جيرانا له غزاهم أنس بن مدركة الخثعمي وذهب بالسبي إلى نجران، ونلاحظ أن دريدا كان عرض المال إن لم يقبلوا بالمن، ولعل ذلك أن السبايا من نساء جيرانه وليس من نسائه، لأن الأقوياء يرون أن استرداد السبي بالمال فيه مذلة وهوان، ودليل ضعف بيرهن على عجزهم وضعفهم، وقلة حيلتهم في استنقاذهن إلى جانب عدم قدرتهم على استنقاذ السبي واستخلافه بغير مال، يقول دريد<sup>(١)</sup>: من الوافر.

بَنِي الدِّيَانِ رُدُوا مَالَ جَارِي      وَأَسْرَى فِي كُبُولِهِمُ النَّقَالِ  
وَرُدُّوا السَّبِيَّ إِنْ شِئْتُمْ بِمَنْ      وَإِنْ شِئْتُمْ مُفَادَةً بِمَالِ

فلما رد يزيد على دريد مال جاره، مدحه بقوله<sup>(٢)</sup>: من المتقارب

مَدَحْتُ يَزِيدَ بِنَ عَبْدِ المَدَانِ      فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ فَتَى مُمْتَدِحِ  
إِذَا المَدْحُ زَانَ فَتَى مَعَشِرِ      فَإِنْ يَزِيدَ يَزِينُ المَدْحُ  
حَلَلْتُ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ      فَأُورِي زِنَادِي لِمَا قَدَحُ  
وَرَدَّ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَا      وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدٍ فَضَحُ  
وَقَلْتُ لَهُ بَعْدَ عِنَقِ النِّسَاءِ      وَفَكَّ الرِّجَالَ وَرَدَّ اللَّقَحُ  
أَجْرَ لِي فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ      فَأَكْرَمَ بِنَفْحَتِهِ إِذْ نَفَحُ

أما إذا لم يكن بمقدور الفارس استنقاذ السبية، أو استخلافها بقوة السلاح، ولم يقبل السابي فداء له، ولم يمن عليها، واستشعر بعجزه وضعفه، فليس أمامه سوى أن ينصرف إلى شيء آخر يستطيعه، فهذا الصمة الجشمي غزا زبيدا، وسبا ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب، الذي حاول مرارا أن يستنقذها، وغزا الصمة مرارا فلم يقدر على انتزاعها، فقال بعد يأسه<sup>(٣)</sup>: من الوافر

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيْعُ      يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

(١) دريد بن الصمة، الديوان ص ٩٧

(٢) دريد بن الصمة، الديوان ص ٤٢، وري الزند: خرجت ناره، الطهر نقيض الحيض، اللقح: جمع لقحة، الناقة الحلوب.

(٣) عمرو بن معد يكرب، شعره، ص ١٤٨.

سَبَّاهَا الصَّمَّةُ الْجُشْمِيُّ غَضِبًا      كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهَا صَدِيعُ  
وَحَالَتْ دُونَهَا فِرْسَانُ قَيْسٍ      تَكَشَّفَتْ عَنْ سِوَاعِهَا الدُّرُوعُ  
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَّهُ      وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

أما عروة بن الورد، فقد استطاع أن يستخلص فتاة عبسية اسمها أسماء كان سبهاها العامريون، وفخر بذلك عامر بن الطفيل وذكر أخذه إياها فردَّ عليه عروة معيرا إياه بأن العبسية لم تلبث عندهم بعض الوقت، في الوقت الذي عجز فيه عامر بن الطفيل عن استخلاص ليلي بنت شعواء الهلالية، التي أخلق العبسيون شبابها، وذهبوا بجمالها وحسنها، وأنها ما ردت إلى أبيها إلا وقد علاه الشيب وأصبح رأسه أبيض كالثغام، يقول عروة بن الورد<sup>(١)</sup>: من الطويل

إِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْقِفَ سَاعَةٍ      فَمَأْخُذُ لَيْلَى وَهِيَ عَذْرَاءٌ أَعْجَبُ  
لَيْسِنًا زَمَانًا حُسْنَهَا وَشَبَابَهَا      وَرُدَّتْ إِلَى شَعْوَاءَ، وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ  
كَمَاخُذِنَا حَسَنَاءَ كَرَاهًا وَدَمْعُهَا      عِدَاةَ اللُّوَى، مَعْصُوبَةً، يَنْصَبُّبُ

على أن المرأة أبغضت السبي ومقتته، لما فيه من إذلال وإهانة لها، ولما فيه من اغتراب عن وطنها، وانتزاع من أهلها، ولما فيه من إذلال لجباههم وإرغام لأنوفهم، ولما تلاقيه عند قوم سابيها من تعبير وتحقير، ولذا ظلت تتحين الفرصة لتعود إلى أهلها ولو بعد حين، كما فعلت امرأة عروة بن الورد العبسي لما استزارته أهلها، ورفضت أن تعود معه، وقالت له: (ما مرَّ عليَّ يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب

إلي من الحياة بين قومك، لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا، فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم<sup>(٢)</sup>.)

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير. (١٩٦٥م). الكامل في التاريخ. مجلد ١. دار صادر. بيروت.
- الحوفي، أحمد محمد. المرأة في الشعر الجاهلي. دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة.
- الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي. (١٩٦١). المؤتلف والمختلف. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

(١) عروة بن الورد، الديوان ص ٢٨.

(٢) عروة بن الورد، الديوان ص ٦.

- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري. (١٩٦٧م). الحماسة. ط ٢. الأب لويس شيخو اليسوعي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي. (١٩٣٨/٥٠٢هـ). شرح ديوان الحماسة. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة الحجازي. القاهرة.
- الحصين بن الحمام المري سيرته وشعره. جمع وتحقيق: شريف علاونة. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان.
- الخالديان، أبو بكر محمد. وأبو عثمان، سعيد ابنا هاشم. (١٩٥٨). كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين. حققه وعلق عليه: السيد محمد يوسف. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ديوان الأعشى الكبير. (١٩٧٢م). شرح وتعليق: محمد محمد حسين. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.
- ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي. (١٩٩٥). تحقيق: عزة حسن. دار الشرق العربي. بيروت. لبنان.
- ديوان الخنساء. (١٩٦٠م). دار صادر للطباعة والنشر. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت.
- ديوان دريد بن الصمة الجشمي. جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي. دار قتيبية.
- ديوان زهير بن جناب الكلبي. (١٩٩٩م). صناعة: محمد شفيق البيطار. ط ١. دار صادر بيروت. لبنان.
- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره. صناعة: يحيى بن مدرك الطائي. دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال. مطبعة المدني. القاهرة.
- ديوان طرفة بن العبد. شرح الأعلام الشنتمري. (ت ٤٠٦هـ). تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال. إدارة الثقافة والفنون. دولة البحرين. والمؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- ديوان طفيل الغنوي. (١٩٩٧م). شرح: الأصمعي. تحقيق: حسان فلاح أوغلي. ط ١. دار صادر بيروت.
- ديوان عامر بن الطفيل. (١٩٧٩م). رواية: أبي بكر محمد القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. دار صادر. بيروت. لبنان.

- ديوان عمرو بن كلثوم. (١٩٩٦م). ط ١. دار صادر. بيروت. لبنان.
- ديوان عنتره. (١٩٧٠م). تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي. المكتب الإسلامي. بيروت.
- ديوان قيس بن الخطيم. (١٩٦٧). تحقيق: ناصر الدين الأسد. ط ٢. دار صادر. بيروت. لبنان.
- ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعارف. مصر.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمرو. (١٩٧٩م). أساس البلاغة.
- الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر. (١٩٧٧م). الأنوار ومحاسن الأشعار. تحقيق: السيد محمد يوسف. راجعه وزاد في حواشيه: عبد الستار أحمد فراج. مطبعة حكومة الكويت.
- شعر بني تميم في العصر الجاهلي. (١٩٨٢). جمع وتحقيق: عبد الحميد محمود المعيني. منشورات نادي القسيم الأدبي. بريدة السعودية.
- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي. (١٩٨٥). جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي. ط ٢. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق.
- الضبي، المفضل بن محمد أبو العباس. المفضليات. ط ٦. تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون. بيروت. لبنان.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (٢٢٤. ٣١٠هـ). تاريخ الأمم والملوك. المجلد الثاني. ط ٢. (١٤٠٨. ١٩٨٨م).
- الطرائف الأدبية. (١٩٣٧م). صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيله: عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي. (ت ٣٢٨هـ). العقد الفريد. تحقيق: محمد سعيد العريان. دار الفكر.
- غطاشة، داود. حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة. رسالة دكتوراه. الجامعة الأردنية.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. (١٩٦٣م). أدب الكاتب. ط ٤. حققه وضبط غريبه: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. مصر.

- المرزباني، أبو عبيدالله محمد ابن عمران المرزباني. (١٩٩١). معجم الشعراء. ط ١. صححه وعلق عليه: ف. كرنكو. دار الجيل. بيروت.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. (١٩٥١). شرح ديوان الحماسة. ط ١. نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.
- ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت.
- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن أحمد يعقوب الهمذاني. (١٩٩٠). الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير. ط ١. حققه وعلق عليه: محمد بن علي بن الحسين الأكوغ الحوالي. مكتبة الجبل الجديد. صنعاء.
- الجبوري، يحيى. (١٩٨٢). قصائد جاهلية. ط ١. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.